إضاءة

مينغزي صورة للفكر في الصين القديمة

الاستعارة كأداةٍ فلسفية

يُعطي مينغزي، الذي عاش بين نهاية القرن الرابع ونهاية القرن الثالث قبل الميلاد، فكرةً عن الفلسفة الصينية المبكّرة. فلسفة قدّمت رؤية أصيلة للطبيعة البشرية، مختلفة عن رؤية الفكر الأوروبي الحديث، ولم تتردّد في استخدام الاستعارة لقول الحكمة

دارا عبدالله

نحن الآن في عام 319 قبل الميلاد، في ليانغ (Liang)، عاصمة دولة وي (Wei). لا ظِلَّ للأشياء لأنّ الشمس تُشعُّ في منتصف الظهيرة. ملك ليانغ، الإمبراطور هوي (Hui)، قام بدعوة أكثر العلماء حكمةً من كلّ أصقاع الأرض لتقديم مشورةٍ في الحُكم. لا تصل العين لعلوّ سقف القاعة المَلَكيّة، والبناء المزخرف يعمي البصر لدقّته، وصدى الصوت في صمت القاعة يخلق الرهبة والخشوع، وكأنّ الصدى تكرارٌ لخطا الكلام. كلّ مَن سيرى الإمبراطور عليه أن يصعد الدرج ويمشي تحت مرأى نظرته المهيبة. لا يُلام أكثر الناس كرامة وعزّة من الشعور بالخوف والقلق في حضرة جلاله. اليوم، اختارت القاعة المَلَكيّة الإصغاء لمينغزي (Mengzi)، الشاب الكونفوشيوسي المتقشّف.

انحنى مينغزي ببطء يكشف وقارًا وثقة، فقام الإمبراطور من عرشه ـ وقيام الإمبراطور دلالة الاحترام الشديد والأمان المبدئي. وقال له بمودّة: «أيها المعلّم الكبير... لا بدّ أنّك قطعت مئات الأميال وواجهت كبار الصعاب ونجحت في كلّ المنافسات، كي تقف في حضرتي. بعد كلّ هذا، لا بد أنّ في رأسك أفكارًا ستجلب الربح والفائدة والنفع لحُكمي». قبل حتّى أن يردّ التحية بمثلها، وهو يقترب من الإمبراطور قاطعًا عرض القاعة، متكشّفاً ملامحه أكثر، وضع عينَه في عينه، وقال له مينغزي: «لماذا جلالتك تفكّر بالربح والنفع والفائدة؟ فكّر ببساطة بالاستقامة والإحسان».

حبس الجميع أنفاسهم، ودبّ صمتٌ كشف عن دبيب النمل بين الأعصان. كيف يتجرّأ هذا الشاب على معارضة الإمبراطور في أوّل جملةٍ نطقها أمامه. فورًا، قبل تعمّق سوء فهمٍ، ولإبقاء رأسه متّصلًا برقبته، أضاف مينغزي: «إذا قلتَ، جلالتك، كيف ساحقّق النفع لدولتي، فإنّ حكّام الولايات سيسعون إلى الربح فقط لأنفسهم. وسيصبح الربح القضيّة الوحيدة للنُبلاء والعوام. الجميع: الشعوب والحكّام سيسعون فقط إلى الربح والمنفعة. عندها، كلّ عرش جلالتك سيصبح مهدّداً بجشع حبّ الربح ونزاعات الحصول عليه».

لفتت شجاعة مينغزي وسداده في الرأي انتباه الإمبراطور، خصوصًا أنّه المعلّم الوحيد الذي لم يتملّق الإمبراطور، ويُسمعه ما يريد سماعه. ردُّ مينغزي موقفٌ فلسفي أيضًا، إذ يرفض الاعتماد على حسابات الربح والخسارة كمعيار وحيد في الحُكم الرشيد أو كدليل أخلاقي في الحياة. بنقده تحويل النفع إلى غاية بحدّ ذاتها، يردّ مينغزي بشكل واضح على النفعية الموهيزيّة (Mohist) التي كانت سائدة في عهده آنذاك. الموهيزيّة هي النسخة الصينية من الفلسفة النفعيّة الغربية. موقف مينغزي من النفعيّة يتوضّح أكثر بقوله: «الرجل الطيّب لا يخفق أبدًا في نيل الربح. السعي للربح من أجل الربح، الربح كغاية بحدّ ذاتها، لن يؤدّي إلّا إلى الخراب والدمار. في حين أنّ إحقاق الإحسان والاتّسام بالاستقامة هو ما يجب السعي وراءه، ووقتها لن يخفق المرء في نيل الربح». فمن هو هذا الشاب المتقشّف الذي يدافع عن «الطريق» (تاو) التي رسمها كونفوشيوس؟

المعلومات حول حياة مينغزي قليلة جدًا، كلّ شيء بحوزتنا قادم بدرجة أولى من كتاب اسمه ببساطة «مينغزي». وُلد في مدينة زو (Zou)، وهي مدينة صغيرة ليست بعيدة عن لو (Lu)، المدينة التي انطلقت منها الكونفوشيوسية. كل هذه المنطقة تتبع الآن إدارياً لمقاطعة شان دونغ في الصين الحديثة. غادر والده الحياة مبكّرًا، وعانت أمّه كثيرًا وهي تحاول تربيته في مجتمع أبويّ لا يرحم. رغم كلّ العوائق، أرسلته أمه إلى مدرسة كونفوشيوسية للتعلّم.

الكثير من الأقوال والأفعال يُنسب إلى أم مينغزي، السيدة التي ربّت ولدها اليتيم وحيدةً. وبغضّ النظر عن صحّة هذه الأقوال من عدمها، فإنها تقدم لنا فهماً معقولاً حول استخدام مينغزي للاستعارات الأدبيّة في صلب السجالات الفلسفيّة. الاستعارة كأداةٍ من أدوات المنطق. انتقلت الأم ثلاث مرّات وهي تبحث عن مكانٍ مناسب تعتني فيه بطفلها. سكنت مرّةً بالقرب من مقبرة، فصار مينغزي يقلّد رجال الدين، وهم يؤدّون شعائر الدفن وطقوس الترحّم، فخافت أن يتحوّل ابنها إلى رجل دين. سكنت مرّة بالقرب من سوق المدينة، فصار الطفل يقلّد الباعة المتجوّلين وتجّار السلع المتنقّلين، فخافت أن يصير رجل أعمال. سكنت أخيرًا بالقرب من مدرسة، فصار الطفل يقلّد حركات المعلّمين وأسلوبهم في الكلام، فاستقرّت هناك لأنّ هذا ما أرادته.

بالتأكيد لن تتمكن هذه السطور من إعطاء نظرة واسعة ومعمّقة على كل جوانب فلسفة مينغزي، ولكنّ النقطة الأكثر أصالة في هذا التقليد الفلسفي الصيني هو زاوية النظر إلى الطبيعة البشريّة. وربمّا هذا المقطع، الذي يشرح تجربة ذهنية تخيّليّة، هو الأكثر شهرة وانتشارًا في كلّ فلسفته: «السبب الذي يدفعني إلى القول بأنّ البشر يمتلكون عواطف، إزاء بعضهم البعض هو الشعور التالي الذي سيعيشه أي إنسان. تخيل بأنّك رأيت فجأة طفلاً على وشك السقوط في بئر. كلّ شخص يرى هذا المشهد سيشعر بإنذار داخليّ وتعاطف أوّلي وإحساس بالتأذّي. سيشعر المرء بهذه الأحاسيس، بغض النظر عن معرفته بوالدَي الطفل، أو حتّى لو كان يكره بكاء الأطفال».

النقطة المفتاحية في هذه التجربة الفكريّة هي كلمة «فجأة». ردُّ الفعل الناتج عن رؤية الطفل، وهو على وشك السقوط في البئر، هو ردُّ فعل فوري وطبيعي ومباشر. وقسوة الصورة توقف كلّ القدرات العقليّة وتعطل كل الحسابات (ولو لفترة زمنيّة قصيرة). مرّة أخرى: الحديث لا يدور هنا حول الفعل (Action) الذي يجب أن يقوم به المرء عند رؤيته للطفل وهو يسقط في البئر (إنقاذه أم لا). الفعل يخضع للإرادة، والإرادة تتّبع العقل. هنا يحدّد مينغزي موقفه بدقّة: اشتقاق الأخلاق من العاطفة، وليس من العقل. لأنّ افتراض وجود تعارض بين العاطفة والعقل هو محض وهم. ما تنفر من الأحاسيس يجب أن تنفر منه الأخلاق أيضًا. عند رؤية طفل يسقط في بئر، فإنّ لحظة التجمّد الداخلي، حيث سكاكين حادّة تحزّ بالنفس، هي دليلٌ على وجود «برعم فضيلة»، كما يسمّيه مينغزي، داخل كلّ إنسان. وهذه اللحظة المشتركة بين كلّ البشر تؤكّد على الطبيعة البشرية الخيّرة مبدئيًا.

> عند مينغزي، يرتبط الشر بالعوامل المحيطة لا بطبيعة البشر

> دعا لاشتقاق الأخلاق من العاطفة وليس من العقل كما فعل كانط

رسم لمينغزي من كتاب حول الفكر الصيني لإدوارد ويرنر، 1922 (Getty)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

سعياً للحكم العادل

سافر مينغزي من دولة الى اخرى وهو يبحث عن حاكم يرشّح افكاره في الحكم، ويوفّر الرفاه للافراد والاستقرار للمجتمع. مينغزي يؤكّد انّ الفقر والجوع هما السببان الاساسيان للفوضى والاضطراب والجريمة. «اذا لم يحظ الانسان بحياة مستقرّة وآمنة، فانّ قلبه سيخسر التحاطف والمحبّة. ومن يفقد المحبة والتعاطف لن يتوانى عن ارتكاب الشرّ». وهكذا، فانّ المهمّة الاساسية للحكومة هي تأمين احتياجات الناس منعًا للفوضى والجريمة.

وقفة مع

عبد القادر بن الحاج نصر

عودة فلسطين إلى أهلها هي التغيير الذي أنتظره

عبد القادر بن الحاج نصر

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه

تونس ـ العربي الجديد

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

أواصل كتابة رواية جديدة بعنوان مؤقّت «الأقحوانة» وأبحث عن ناشر (كي لا أقول أحد سماسرة الطباعة) كي أطبع مجموعتي القصصية «بلابل المدينة العتيقة»، أو روايتي «حديقة لكسمبورغ» كلتاهما على مكتبي تنتظران الانعتاق، وساعتهما «رغم الداء والأعداء».

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

آخر ما صدر لي مجموعة قصص تحمل عنوان «سيّدة شرقيّة جدًا».

■ هل أنت راض عن إنتاجك ولماذا؟

راض نصف الرضا، وغير راض. إنّني أتابع الكتابة ولديّ يقين بأنّ المبدع الذي يخالجه الإحساس بالإعجاب ما هو إلا فاشل أو متّجه بسرعة نحو دائرة الفشل. أحاول باستمرار أن أجدّد أدوات الكتابة وليس ذلك بيسير.

■ لو قيّض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

لن أختار غير الكتابة الأدبيّة والفنّية كالرواية والقصّة والمسلسلات التلفزيّة والمسرحيّات حتى أحقّق ما لم أحقّقه إلى الآن. تسكنني أحلام كبيرة، أشعر أنّني سأظلّ أصغر منها مهما فعلت.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

أريد عالماً متعدّد الأقطاب تذوب فيه الغطرسة الأميركية. وأريد أن تعود فلسطين إلى الفلسطينيّين وينزع بعض العرب رداء الخيانة والتذلّل والخوف والانبطاح لأنهم كلّما تذلّلوا أمام الاستكبار زادهم إذلالاً وإهانة.

■ شخصية من الماضي تود لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

أودّ أن ألتقي بأبي الطيّب المتنبّي لأستمع إليه يصدح بصوت عالٍ: عيد بأيّة حال عدت يا عيد، بما مضى أم لأمر فيك تجديد. أبو الطيّب المتنبّي أحسن من صوّر الإحساس بالفخر والشجاعة وعلوّ الهمّة والكبرياء والتمرّد على الحاكم الظالم.

■ صديق يخطر على بالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

أتذكّر الروائيّ والقصّاص ورئيس نادي القصّة سابقاً محمد العروسي المطوي لأنّه ساعدني على الظهور في حلقات الأدب ونشر لي أول مجموعة قصص «صلعاء يا حبيبتي».

■ ماذا تقرأ الآن؟

أقرأ القرآن الكريم فهو الذي تعلّمت منه وأتعلّم دائما فنّ التعبير الجميل وصياغة الرأي والفكرة والصّورة والمشهد والقصّة وكذلك الحكمة.

■ ماذا تسمع الآن وهل تقترح علينا تجربة غنائية أو موسيقية يمكننا أن نشاركك سماعها؟

أستمع لفيروز ولعبد الحليم حافظ ونجاة الصغيرة وفريد الأطرش. أراوح بين هذه القامات. إنّ سماعها يطربني ويشحذ فيّ رغبة الكتابة والبحث عن التقنيّات التي توصل الرّسالة إلى القارئ.

بطاقة

كاتب تونسي من مواليد 1946. يكتب الرواية والقصة والمسرحية والدراما التلفزيونية. من رواياته: «الزّيتون لا يموت» (1969)، و«الإثم» (1996)، و«مملكة باردو» (2010)، و«أحزان الجمهوريّة الثانية» (2019). ومن مجموعاته القصصيّة: «أولاد الحفيانة» (1980)، و«حكايا باريس» (2017).

شعر

مُحاصَراً بكلّ هذه الصحراء المديدة

أحاديث السجن

بانكوري سينها

ورقةٌ خضراء

غُرفةٌ بنافذة
تَظهرُ منها ورقةُ شجرة،
تُرى من داخِل السِّجنِ،
من غرفةِ الإدارة،
ورقةُ شجرةٍ خضراء
بعدَ ساعاتٍ متواصلةٍ من الظُّلمَةِ المُطبقة،
حيثُ يتجمّعُ المهاجرون المُحتَجَزونَ،
للإجابةِ عن الأسئلة،
في جلسةٍ إعلاميّة.

معاني الاحتمالات

قد ترتكبُ جريمةَ قتلٍ كاملةً،
جارتي في الزنزانةِ المُجاورة،
قالتْ إنّ شقيقَها محكومٌ بعامين
لقتلِهِ شخصاً ما،
عامين فقط،
أمّا هي
فكانت ذاهبةً إلى الإصلاحيّة.
الإصلاحيّة،
تلك الجنّةُ المشتهاة،
في أحاديثِ السّجن،
في شمالِ ولايةِ نيويورك.

السجناءُ العاديّون

أولئكِ الذين تعاطوا المخدّرات،
والـذيـن هُـزبـتْ مـخـدّراتٌ في أجسادهم،
لكنّهم يعرفونَ الأشخاصَ المُتورّطين،
يعرفونَ خطَّ التّهريب.
يعرفونَ رؤساءَ العصابات.
يعرفونَ أولئك الأشخاص،
الذينَ لا يُقبِضُ عليهم أحَد.

هَمْهَماتُ السّجن

أصـواتٌ خـافـتَـةٌ جـداً لأشـخـاصٍ يتهامَسُون،
ليس هناكَ أيّة محاولةِ هروب،
لم ينهَزْ أيُّ جدارٍ من جُدرانِ السِّجن،
مجرّدُ همهمات
همهماتٍ خبيثةٍ للغاية،
حولَ أرقامِ هواتف المُحامينَ التي لم يَرُدّوا عليها مثلاً،
أو المُحامينَ المشاهير،
الذين يُمثّلونَ الأغنياء،
أو المحامينَ النافذين.

استخدامُ أسلوبكَ لقَتلكَ

أسلـوبُ الـبـوحِ الصّريحِ بالـحـقـائِقِ الفاضِحَة،
في بَلّوراتٍ من الأحجار الكريمة،
غيرِ المصقُولة،
البلّوراتِ الخام،
غير المفصولة عن الفِلزّات.

الغَضَبُ في خَلْقكَ

قد تشعرُ به الآن،
ينتصبُ أمامَك،
مُحاصَراً بكلّ هذه الصحراء المديدة،
تَتَشوّقُ للوصولِ إليه،
وأخذ قبلة،
ولكنْ لا أحدَ هنا،
حتّى على بُعدِ أميال.

الكتابةُ بصوت المَطَر

صوتُ المَطَرِ النّقيّ...
لماذا تُهلوسُ أفريقيا،
لماذا لا تُمطِرُ هنا وحَسب؟
مهما حصل
تبقى صرخةُ أفريقيا
الصرخةَ الأكثرَ عراقةً.

لغة المطر

منَ الصّمتِ،
والبوح،
منَ الموسيقى،
منَ الصّوتِ،
من شيءٍ ما يحصُلُ الآن،
بعد أن قُتِلتْ كلُّ الكلمات،
منَ البَلَل،
منَ الأوراقِ المُتساقطة،
من حضورٍ غامر،
من محادثةٍ عميقة.

التفكير في افريقيا العتيقة

في عزِّ المجاعة، عندما كانوا يطالبونَ بالإغاثة،
وعندما مشى الأطفالُ الجنودُ،
حامليْنَ البنادقَ التي لا يعلمُ إلّا الله
إذا ما كانتْ قديمةً أو حديثة؛
وفي الذي سَحَبَ زنادَهُم،
من الذي أعطى الأوامرَ؟
لطالما كانتْ أشرطةُ الفيديو تنتهي بجُنديٍّ يمشي،
يبتّلُ الهواءَ بالمطرِ الخَفيف.

(ترجمة: عماد الأحمد)

بانكوري سينها

بطاقة

Pankhuri Sinha شاعرة وكاتبة هنديّة من مواليد 1975. لها العديد من المجموعات الشعرية بالهندية، كما نشرتْ مجموعتين شعريّتين باللغة الإنكليزية: «أحاديث السجن» (2013) و«عزيزتي سوزانا» (2014)، وكلاهما صدر لدى «منشورات إكسليبريز» في الولايات المتّحدة. حائزة «جائزة غيرجا كومار ماتور» الهندية المرموقة للشعر (1995). تُرجمت قصائدها إلى عدّة لغات هندية مثل البنغالية والماراثية، وإلى لغات أُخرى كالإسبانية والصربية والنيبالية والتركية والتشيكية والرومانية. تعرضت الشاعرة للتوقيف في الولايات المتحدة من قبل دائرة الهجرة، والقصائد المترجمة هنا من وحي تجربة السجن التي سجلتها في مجموعة «أحاديث السجن».

فعاليات

ضمن إطار **المعرض الوطني للكتاب التونسي**، الذي يُقام بداية من اليوم في «مدينة الثقافة» في تونس العاصمة ويستمر حتى 27 من الشهر الجاري، تُنظّم ندوة حول **واقع النشر في تونس** يشارك فيها كلّ من: **سمير بن علي المسعودي** (دار ورقة)، و**رياض بن عبد الرزاق** (دار عليسة)، و**بلال مسعودي** (دار ميارة).

مدخل إلى الكتاب العربي المخطوط عنوان دورة مكثّفة تنظّمها «مكتبة قطر الوطنية» عند الثانية عشرة من ظهر الإثنين المقبل. تتناول المحاضرات التي يقدّمها الباحثان **محمود زكي** و**ريغولا فورستر** قضايا تأسيسية في موضوع التراث المعرفيّ العربيّ ـ الإسلاميّ، وحياة المخطوط والنصّ بدايةً من التأليف وميلاد العمل، وصولاً إلى إبرازه وعلاقاته بغيره من النصوص.

بداية من السابعة من مساء اليوم، يقيم **معهد العالم العربي** في باريس ندوة استعادية تتناول **تجربة الكاتبة والناشطة النسوية التونسية الفرنسية جيزيل حليمي** (1927-2020، الصورة). يجري خلال الندوة تقديم كتاب يجمع حوارات معها أعدّه الإعلامي **آنيك كوجان** بعنوان **حريّة شرسة** وصدر عن دار «غراسيه».

تنظّم «مؤسّسة غرامشي» في روما مؤتمراً علمياً بعنوان **العنف والديمقراطية: إستراتيجيات الإرهاب في إيطاليا بين عامي 1969 و1974** ينطلق في التاسعة من صباح اليوم، بمشاركة باحثين في التاريخ السياسي من إيطاليا، مثل: **فرانشسكو بينينو**، و**لوكريسا كومينيلي**، و**ميركو دوندي**، و**أنجيلو فينتروني**.